



طالما كان للانقسامات العربيةـ العربية أثراً لها على الأزمة السورية منذ انطلاقها في العام 2011 وحتى اليوم، لكن الأزمة الخليجية الحالية ستترك تأثيرات سلبية كبيرة وغير مسبوقة على الملف السوري لاسيما في هذا التوقيت الذي من المفترض أن تحصل فيه المعارضة السورية على كل دعم ممكن.

قبل حوالي أسبوعين، قررت السعودية والإمارات والبحرين منع الخطوط الجوية القطرية من التحليق في أجواها، وبعدها بعده أيام سجلت برامج رصد حركة الطيران إقلاع طائرة للخطوط الجوية السورية التابعة لنظام بشار الأسد من اللاذقية قبل أن تهبط في الإمارات بعد مرورها بالأجواء السعودية دون أي مشاكل أو عقبات تذكر، بالرغم من أن الخطوط الجوية السورية تخضع منذ العام 2013 لعقوبات أمريكية بسبب توظيفها من قبل حزب الله والحرس الثوري الإيراني في تحويل الأسلحة والذخائر والعتاد إلى النظام السوري!

لا يعدّ مثل هذا الأمر غريباً من الناحية الشكلية فقط، بل من ناحية التوقيت والمضمون كذلك، وقد يشكل مؤشراً بحد ذاته على المسار الذي من الممكن أن تتجه به الأمور فيما يتعلق بسياسة السعودية تجاه سوريا في المرحلة المقبلة.

لقد سبق للخلافات الخليجية أن أثرت بشكل سلبي على عمل المعارضة السورية السياسية والمسلحة وهي الآن (أي الخلافات) تضعهم من جديد في موقف حرج للغاية في وقت تتراجع فيه قوتهم أمام داعش والنظام والميليشيات الإيرانية معاً لاسيما بعد أن رمت روسيا بثقلها إلى جانب الأسد خلال المرحلة الماضية.

وبالرغم من أن أحداً من المعارضة لا يريد أن ينحاز إلى أي طرف من أطراف الأزمة التي تقع خارج إطار حساباتهم فيما يتعلق بمعركتهم الأساسية ضد الأسد، إلا أن هناك مخاوف من أن يتم الضغط على بعض المجموعات لافتعال مشاكل أو معارك جانبية تماماً.

والمشكلة في الأزمة الخليجية الحالية أنها قد تكون مقدمة لتحولات كبرى في المنطقة. وفق مصدر مسؤول على إطلاع واسع بالملف السوري، فإن الموقف السعودي من الأزمة السورية كان قد بدأ يتحول قبيل الأزمة المفتعلة مع الدوحة بقليل، حيث أظهرت العديد من المؤشرات آنذاك على أنه يتبع عن الموقف التركي - والقطري في الملف السوري رويداً رويداً وينحاز أكثر فأكثر إلى الموقف الإماراتي والمصري.

موقف كل من الإمارات ومصر في الملف السوري كان ولا يزال أقرب إلى الموقف الإيراني منه إلى الموقف السعودي والتركي والقطري. سلوك القاهرة وأبو ظبي كان يتفادى دوماً الدور الإيراني ودور مليشيات إيران هناك، ويركز بدلاً عن ذلك على المجموعات السنّية المسلحة بشكل عام بغض النظر إذا ما كانت مصنفة إرهابية وفق قرارات مجلس الأمن أم غير مصنفة كذلك وتشترك في مفاوضات سياسية.

كلا البلدين ساعدوا النظام السوري بشكل مباشر أو غير مباشر عبر العملية السياسية أو عبر دعم أمني أو لوحيسي. وزارة الخزانة الأمريكية وضعت العديد من الشركات المتواجدة في الإمارات على القائمة السوداء وفرضت عليها عقوبات منذ العام 2011 وحتى العام الماضي 2016 وذلك بسبب خرقها نظام العقوبات المفروض على نظام الأسد. وقد تضمنت خروقات هذه الشركات المتواجدة في أبو ظبي ودبي وإمارات إمداد نظام الأسد بالنفط ووقود الطائرات والقيام بمشتريات عسكرية نيابة عنه وقدمت خدمات لمؤسسات تابعة للنظام السوري ففرضت الولايات المتحدة عليها عقوبات كالاستخبارات والاستخبارات الجوية والقوة الجوية والجيش.

منذ حوالي العامين تقريباً، يستثمر كلا البلد ينفي المجال السياسي والعسكري في سوريا وفق نظرية تقول إنّ لا مشكلة في قبول بقاء الأسد، وقد وضعوا قدماً لهما عبر توظيف العامل القبلي السهل التطويق والتوجيه في سوريا، والذي من الممكن له أن يقبل الأسد مجدداً وأن يحارب داعش أيضاً.

وفي هذا السياق، يعدّ أحمد الجربا الرئيس السابق للائتلاف الوطني السوري المعارض والذي كان محسوباً من قبل على الجانب السعودي عامل الالقاء المشترك بين كل من مصر والإمارات. ويبدو أنّ الإستراتيجية المتبعة للإمارات في سوريا ترتكز على محورية الرجل من خلال موقعه القبلي، إذ تمكن بمساعدتها من تكوين قوة من بضعة آلاف تعمل إلى جانب قوات سوريا الديمقراطية التي تشكل مليشيات (بي واي دي/اوي بي جي) الكردية عمادها.

ما يميّز هذه القوات هو أنها تتلقى دعماً أمريكياً غير محدود، وهي معاذية لتركيا في المجمل، وتهدّف إلى السيطرة على أكبر قدر ممكن من المساحة على الأرض بعد خروج داعش، ولا مشكلة حقيقة بينها وبين الأسد، وهذه النقاط بالتحديد هي المدخل لتحول الموقف السعودي.

قبل 6 أشهر فقط، أجرت وكالة "أرم" الإماراتية مقابلة مع الجربا وأجاب على سؤال بالقول: "لا مشكلة في بقاء الأسد إذا كان ذلك في صالح الدولة السورية". يشير البعض إلى أنّ الموقف الإماراتي قد أثر بشكل كبير على قراءة الموقف السعودي للأحداث، واستناداً إلى ما قاله المصدر المسؤول الذي نقلنا عنه آنفاً، فإن هناك قناعة لدى عدد من المسؤولين السعوديين من بينهم من هو موجود في أعلى هرم السلطة في الرياض بأنّ بقاء الأسد في سوريا أمر لا مفر منه، وأنه بالإمكان الاستفادة من ذلك في مكافحة الإرهاب".

لا شك أنّ مثل هذا الطرح يحمل معه تناقضات كبيرة، إذ أنّ جزءاً أساسياً من مشكلة نظام الأسد أنه خلق حالة الإرهاب التي يجري مكافحتها اليوم في سوريا، أما التناقض الآخر فهو إبداء الاستعداد للانفتاح على التعامل مع الأسد الحليف الأول

إيران في المنطقة، في مقابل فرض حصار على قطر بحجـة عـلاقـة مـزعـومـة مع طـهـران!

يقول المصدر إن "مسؤولـاً سـعـودـيا يـرى تـخيـيرـاً الأـسـدـ بينـ الـبقاءـ معـ تـخلـيهـ عنـ إـيرـانـ أوـ الرـحـيلـ إنـ أـصـرـ علىـ بـقاءـ الـعـلـاقـةـ معـ إـيرـانـ، لكنـ المـشـكـلةـ فيـ هـذـهـ الـمـعـادـلـةـ أـنـ مـفـاتـيحـ بـقاءـ أوـ رـحـيلـ الأـسـدـ لـيـسـتـ فيـ يـدـ السـعـودـيـةـ حتـىـ يـتمـ اـشـتـراـطـ مـثـلـ هـذـاـ الـأـمـرـ عـلـيـهـ الآـنـ، وـهـيـ لـاـ تـمـتـكـ الـآـلـيـةـ التـيـ تـسـتـطـعـ مـنـ خـالـلـهـاـ فـرـضـ هـذـاـ الـأـمـرـ، كـمـاـ أـنـ تـخـيـلـ بـقاءـ الأـسـدـ مـنـ دـوـنـ إـيرـانـ هوـ بـمـثـابـةـ وـهـمـ كـبـيرـ جـداـ".

ما قالـهـ المـصـدـرـ أـعـلاـهـ أـكـدـهـ مـسـؤـولـ رـفـيعـ الـمـسـتـوىـ أـشـارـ إـلـىـ أـنـ "الـسـعـودـيـةـ سـتـحاـولـ تـحـقـيقـ ذـلـكـ مـنـ خـالـلـ إـقـنـاعـ روـسـيـاـ، وـلـهـذاـ فـانـ جـزـءـاـ مـنـ أـهـدـافـ الـزـيـارـةـ التـيـ قـامـ بـهاـ مـحـمـدـ بـنـ سـلـمانـ إـلـىـ مـوـسـكـوـ مـؤـخـراـ كـانـتـ تـتـعـلـقـ بـهـذـاـ الـأـمـرـ تـحدـيدـاـ".

لـكـ اـفـتـرـاضـ أـنـ السـعـودـيـةـ قـادـرـةـ عـلـىـ إـقـنـاعـ روـسـيـاـ بـمـثـلـ هـذـاـ الـأـمـرـ مـسـأـلـةـ عـلـيـهـ عـلـامـاتـ اـسـتـفـهـامـ فـضـلـاـ عـنـ حـقـيقـةـ أـنـ جـزـءـاـ مـنـ هـذـاـ الـقـرـارـ يـتـعـلـقـ أـيـضاـ بـشـرـيكـ مـوـسـكـوـ الـاسـتـرـاتـيـجيـ فـيـ سـورـيـاـ وـهـوـ إـيرـانـ.

تشـيرـ التـقـدـيرـاتـ إـلـىـ أـنـ لـدـيـ إـيرـانـ حـوـالـيـ 60ـ أـلـفـ مـقـاتـلـ فـيـ سـورـيـاـ يـنـتـمـونـ إـلـىـ الـحـرسـ الثـورـيـ وـالـمـيلـيشـيـاتـ التـابـعـةـ لـهـ مـنـ سـورـيـاـ وـلـبـنـانـ وـالـعـرـاقـ وـأـفـغـانـسـتـانـ وـبـاـكـسـتـانـ وـغـيرـهـاـ مـنـ الـبـلـدـانـ. هـذـاـ العـدـدـ أـكـبـرـ بـكـثـيرـ مـاـ هوـ مـتـوـافـرـ مـنـ قـوـةـ حـقـيقـةـ لـدـيـ جـيـشـ الأـسـدـ الآـنـ، وـإـنـ اـفـتـرـاضـنـاـ أـنـ مـوـسـكـوـ سـتـوـافـقـ عـلـىـ الـطـرـحـ السـعـودـيـ، فـمـنـ دـوـنـ موـافـقـةـ إـيرـانـ لـنـ تـسـيـرـ الـأـمـورـ كـمـاـ يـتـوـقـعـ الـبعـضـ.

فيـ هـذـهـ الـحـالـةـ سـيـكـونـ هـنـاكـ حـاجـةـ إـلـىـ إـقـنـاعـ إـيرـانـ أوـ مـحـارـبـتهاـ حـتـىـ يـتـمـ فـرـضـ هـذـاـ الـخـيـارـ عـلـيـهـ. مـنـ الصـعـبـ جـداـ تـصـوـرـ أـنـ تـتـخـلـىـ إـيرـانـ عـنـ الأـسـدـ خـاصـةـ فـيـ هـذـهـ الـظـرـوفـ -ـ الـتـيـ يـتـقـدـمـ فـيـهـاـ عـلـىـ الصـعـيـدـ الـعـسـكـرـيـ وـالـسـيـاسـيـ حـيـثـ يـرـكـ الـجـمـيعـ عـلـىـ مـحـارـبـةـ دـاعـشـ-، إـلـاـ إـذـاـ كـانـ هـنـاكـ بـدـيـلـ عـنـهـ بـنـفـسـ درـجـةـ وـلـائـهـ لـهـ أـوـ أـكـثـرـ، وـلـاـ تـوـجـدـ مـعـلـومـاتـ آـنـ تـشـيرـ إـلـىـ أـنـ هـنـاكـ نـقـاشـ حـولـ شـخـصـيـةـ مـاـ لـاستـبـدـالـ الأـسـدـ بـهـاـ، فـضـلـاـ عـنـ وـجـودـ هـذـهـ الشـخـصـيـةـ بـالـصـفـاتـ الـمـطلـوبـةـ.

خـالـلـ الـآـوـنـةـ الـآـخـيـرـةـ، اـرـتـفـعـ مـنـسـوبـ الـاحـتكـاكـ بـيـنـ الـقـوـاتـ الـأـمـريـكـيـةـ مـنـ جـهـةـ وـالـمـيلـيشـيـاتـ الدـاعـمـةـ لـلـأـسـدـ وـالـمـوـالـيـةـ لـإـيرـانـ مـنـ جـهـةـ أـخـرـىـ وـذـلـكـ فـيـ مـحـيطـ مـعـسـكـرـ التـنـفـ قـرـبـ الـمـلـكـ الـحـدـودـيـ السـوـرـيـ-ـ الـأـرـدـنـيــ الـعـرـاقـيـ. قـامـتـ الـقـوـاتـ الـأـمـريـكـيـةـ بـتـوجـيـهـ ضـرـبـتـيـنـ أـوـ ثـلـاثـ خـالـلـ الـشـهـرـ الـمـاضـيـ لـبعـضـ هـذـهـ الـمـجـمـوعـاتـ التـيـ اـخـتـرـتـ الـمـنـطـقـةـ وـرـفـضـتـ الـانـسـحـابـ مـنـهـاـ، وـذـلـكـ نـظـراـ لـمـاـ تـحـمـلـهـ مـنـ تـهـديـدـ عـلـىـ الـقـوـاتـ الـأـجـنبـيـةـ الـمـوجـوـدـةـ فـيـ الـقـاعـدـةـ الـعـسـكـرـيـةـ هـنـاكـ فـضـلـاـ عـنـ قـوـاتـ الـمـعـارـضـةـ السـوـرـيـةـ التـيـ يـتـمـ تـدـريـبـهـاـ.

كـمـ قـامـتـ الـقـوـاتـ الـأـمـريـكـيـةـ لـاحـقاـ بـإـسـقـاطـ طـائـرـةـ اـسـتـطـلـاعـ كـانـتـ قـدـ أـلـقـتـ قـبـلـةـ تـبـيـنـ أـنـهـاـ مـنـ صـنـعـ إـيرـانـيـ، وـأـسـقـطـتـ طـائـرـةـ لـنـظـامـ الـأـسـدـ الـيـوـمـ قـرـبـ الـطـبـقـةـ بـعـدـمـ اـسـتـهـدـفـتـ قـوـاتـ "ـقـسـدـ"ـ قـرـبـ الـطـبـقـةـ. يـتـوـقـعـ كـثـيـرـونـ أـنـ تـزـدـادـ مـثـلـ هـذـهـ الـحـوـادـثـ مـنـ آـنـ وـصـاعـدـاـ، فـمـعـ انـهـزـامـ دـاعـشـ فـيـ الـعـدـيدـ مـنـ الـمـنـاطـقـ فـيـ سـورـيـاـ وـالـعـرـاقـ، هـنـاكـ سـبـاقـاـ مـحـمـومـاـ لـمـلـئـ الـفـرـاغـ الـذـيـ تـرـكـهـ وـالـسـيـطـرـةـ عـلـىـ مـزـيدـ مـنـ الـأـرـاضـيـ لـأـنـ هـذـاـ الـعـنـصـرـ بـالـتـحـدـيدـ هـوـ الـذـيـ سـيـحـدـدـ تـوـجـهـاتـ الـمـرـحـلـةـ الـمـقـبـلـةـ.

وـفـيـ هـذـهـ السـيـاقـ، يـسـعـيـ جـمـيعـ الـلـاعـبـيـنـ إـلـىـ التـفـكـيرـ فـيـ مرـحـلـةـ ماـ بـعـدـ دـاعـشـ، وـهـوـ سـبـاقـ قـدـ يـؤـديـ إـلـىـ صـرـاعـ وـتـصـادـمـ فـيـ مـرـحـلـةـ لـاحـقـةـ. إـيرـانـ بـدـأـتـ تـأـخـذـ الـخـطـوـاتـ الـلـازـمـةـ لـتـحـصـيـنـ مـوـاـقـعـهـاـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ وـتـوـظـيفـهـاـ لـلـرـدـ عـلـىـ أـيـ مـحاـوـلـةـ اـعـتـدـاءـ عـلـيـهـ، لـذـلـكـ لـنـ يـكـونـ مـنـ السـهـلـ دـفـعـهـاـ فـيـ سـورـيـاـ إـلـىـ الـوـرـاءـ وـاستـبـدـالـ الـأـسـدـ، فـهـيـ قـابـ قـوسـينـ أـوـ أـلـنـيـ مـنـ تـحـقـيقـ مـمـرـ لـهـ مـنـ طـهـرانـ إـلـىـ الـبـرـ الـمـتوـسـطـ لـأـوـلـ مـرـةـ مـنـ قـرـونـ، وـقـدـ أـبـدـتـ الـيـوـمـ كـذـلـكـ رـغـبـتـهـاـ فـيـ الدـفـاعـ عـنـ مـكـتـسـبـاتـهـاـ مـنـ خـالـلـ اـسـتـعـراضـ الـقـوـةـ تـضـمـنـ إـطـلـاقـ صـارـوخـ بـالـسـتـيـ مـتـوـسـطـ الـمـدىـ لـأـوـلـ مـرـةـ فـيـ تـارـيخـهاـ ضـدـ سـورـيـاـ دـيـرـ الزـورـ)ـ بـحـجـةـ الـهـجـمـاتـ التـيـ تـبـنـتـهـاـ

إدارة ترامب عبرت عن استعدادها لمواجهة التفوز الإيراني ودفعه إلى الوراء عدة مرات، لكن أولويتها الآن لا تزال داعش والقاعدة ومحاربة الإرهاب وليس استبدال الأسد، ومن الصعب إن لم يكن مستحيلاً افتراض أن الولايات المتحدة ستخوض معركة مع إيران بالنيابة عن السعودية أو غيرها من الدول.

تعویل السعودية على الولايات المتحدة في هذه المرحلة لتغيير الأسد بين البقاء من دون إيران أو الرحيل، لا يبدو واقعياً وسيؤدي حتماً إلى نتائج عكسية خاصة إذا قامت بالتواصل مع نظام الأسد بهذا الشأن. فالأمريكيون يعانون من تحبط كبير حول كيفية التعامل مع الوضع.

هناك مسؤولون في إدارة ترامب يريدون بالتأكيد تحجيم إيران وان تطلب ذلك مواجهة عدد من أذرعها ولاسيما في جنوب شرق سوريا، لكن ماتيس وبالرغم مما يعرف عن موقفه الحاد من إيران لا يزال يرفض ذلك باعتبارها مغامرة خطيرة قد تجر الولايات المتحدة إلى مواجهة مع طهران حيث بإمكان الأخيرة توظيف الآلاف من مقاتليها الموجودين في سوريا والعراق بالإضافة إلى المئات من الحرس الثوري ضد التواجد الأمريكي.

يفضل المسؤولون العسكريون الأمريكيون التركيز على داعش بما في ذلك وزير الدفاع ورئيس هيئة الأركان والمبعوث الخاص لمكافحة داعش القوات الأمريكية كانت قد أوضحت بشكل علني بأنها لا تسعى إلى الاشتباك مع نظام الأسد أو المليشيات الموالية له إلا إذا تم تهديدها، وبالتالي فإن ما قد تلحق به السعودية كل من الإمارات ومصر في الملف السوري قد يدخلها أيضاً في نزاعات مع محاور أخرى داخل سوريا وفي المنطقة، فالموافقة على بقاء الأسد سيكون مجرد سراب ولن يحل المشكلة حتى لو حصل.